من قصص التراث

دقة بدقة

وقصص أخرى



٣

سفير

قصص التراث

دَقَّةٌ بِدَقَّة

وَقَصَص أخــرى

إعـــداد وتحـــريـر

سـمير حــلبى　عبد الحميد توفيق

سلامة محمد سلامة　نور الدين عبد العال

رســـوم

إسماعيل دياب

سفير

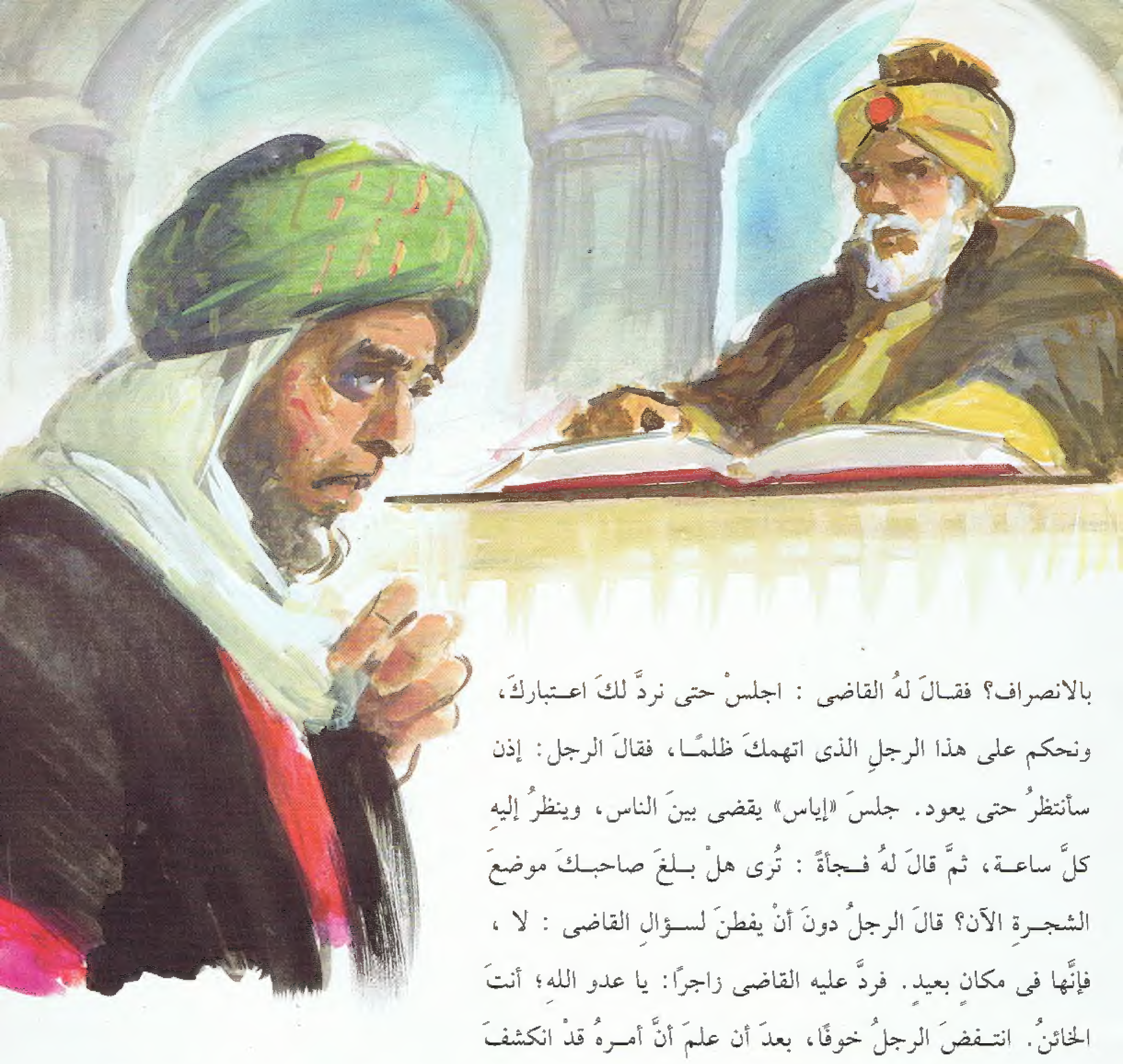
٥ ش جزيرة العرب – المهندسين – القاهرة. ص.ب: (٤٢٥) الدقي

إياس في مجلس القضاء

يُحكى أنَّ رجلا استأمنَ رجلا آخرَ على مال، وبعدَ فترةٍ من الزمن، ذهبَ إليهِ ليطلبَ مالهُ، فأنكرهُ الرجلُ وقالَ لهُ : مالٌ !! أيُّ مال هذا الذى تسألُ عنه؟ فقـالَ لهُ الرجلُ فى دهشة : مالى الذى استودعتهُ أمـانةً عندكَ. فـأجابه الرجلُ فى حـدة : لامـالَ لكَ عندى. فـانصرفَ صـاحبُ المالِ وهو يقـولُ : لأشكونكَ إلى القاضى إياس. ثمَّ ذهبَ إلى القاضى إياس ، الذى استـمعَ لشكواهُ باهتمامٍ شديد، وبعدَ أنْ فـرغ الرجلُ منْ شكواه، قـالَ القاضى: أحـضروا الرجلَ الآخـر. وبعدَ أن حـضر الرجلُ أخذَ القاضى ينظرُ إليه، ويَستمعُ إلى ردِّه على شكوى صاحب المال..

وصمـتَ قليلا، وقـال وهو ينظرُ بطَرْفِ عينهِ إلى الرجلِ الآخـر، وهو يوجهُ حـديثهُ إلى صـاحبِ المال : تقولُ إنك أعطيتـهُ المالَ فى مكانِ كذا وكذا !! فـردَّ الرجلُ قائلا : نعم يا سيدى القـاضى. فقالَ القاضى : فأىُّ شىءٍ كـانَ ذلكَ الموضع؟ فأجابَ الرجلُ : شجـرة. فقـالَ القاضى : فـانطلقْ إلى ذلكَ الموضع، وانظرْ إلى تلكَ الشـجـرة؛ فلعلَّ اللهَ يوضحُ لكَ هناكَ ما تبينُ بهِ حقكَ، أو لعلكَ دفـنتَ مالكَ عندَ الشجـرة فنسيت؛ فإذا رأيت الشجـرةَ تذكرت، ولا تتهم الناس بلا بيِّنة أو دليلٍ. وعندما همَّ بالانصرافِ قالَ لهُ القـاضى : ائتِ إلينا لنرى ماذا فـعلت. وانصرفَ الرجلُ ولـمْ يفهمْ إلامَ يرْمى إليـهِ القاضى وقالَ الذى أنكرَ وجودَ المالِ عنده، وقدْ ظـنَّ أنهُ أصبحَ بريئًا : أقسمُ لكَ يا سيـدى القاضى أنِّى ما رأيتُ هذا الـرجل، ولا ذهبـتُ إلى المـكانِ الذى ذكـر. فـهـلْ تأذن لى





بالانصراف؟ فقـالَ لهُ القاضى : اجلسْ حتى نردَّ لكَ اعـتباركَ، ونحكم على هذا الرجلِ الذى اتهمكَ ظلمًـا، فقالَ الرجل: إذن سأنتظرُ حتى يعود. جلسَ «إياس» يقضى بينَ الناس، وينظرُ إليهِ كلَّ ساعـة، ثمَّ قالَ لهُ فـجأةً : تُرى هلْ بـلغَ صاحبـكَ موضعَ الشجـرةِ الآن؟ قالَ الرجلُ دونَ أنْ يفطنَ لسـؤالِ القاضى : لا ، فإنَّها فى مكانٍ بعيدٍ. فردَّ عليه القاضى زاجرًا: يا عدو اللهِ؛ أنتَ الخائنُ. انتـفضَ الرجلُ خوفًا، بعدَ أن علمَ أنَّ أمـرهُ قدْ انكشفَ وقالَ: أستـحلفكُ باللهِ أنْ تغفرَ لى. فقـالَ لهُ القاضى: إذنْ تعترف بأخـذِ المال. فقالَ الرجل : أعتـرفُ يا سيدى القاضى. عندئذٍ أمرَ القاضى بحبسه، حتى جاءَ خصمهُ يلهثُ ومـا وجدَ شيئًا، ووجدَ القاضى يجلسُ مبتسمًا له، ويقول: خذ منهُ حقكَ. فـقدْ اعترفَ بأخذِ المال. دُهشَ الرجل، وقالَ بعـدَ أنْ علِمَ بما حدثَ : لا حرمنَا اللهُ منْ ذكاء قاضينا «إياس»، وأخذَ مالهُ منْ خصمه وهو يحمدُ الله تعالى.

حذاء أبى القاسم

يُحكى أنَّ رجلا اسـمهُ أبو القاسم كـانَ يعيشُ فى بغداد، وكـانَ لهُ حذاءٌ قديمٌ ظلَّ يلبسهُ لسنوات طويلة، وكلَّما تـقطعَ منهَ موضعٌ جعلَ مكانهُ رقـعة، إلى أنْ صارَ الحـذاء فى غاية الثـقل، وصارَ الناس يضربونَ به المثل . . وفى أحـدِ الأيامِ خرجَ أبو القاسم إلى السوق، واشـترى بكلِ مالهِ ماء ورد وعـبأهُ فى زجاج مذهب، ووعـدهُ أحدُ السماسرة أنْ يبيعَ لهُ هذه البـضاعة حينَ تشتـد حاجة السوقِ إليها، فـيربحَ ضعفَ ثمنها، وذهبَ أبو القاسم إلى بيـته، ووضع زجاجات ماء الوردِ على أحدِ الرفـوف فى صدر البيت، ثمَّ ذهبَ إلى أحد الحمـامات العامة فى بغـداد ليغتسل، فـقابلهُ أحدُ أصدقائه وقـالَ له : يا أبا القاسم ألا تغيـر حذاءكَ البالى، وتشتـرى حذاءً جديدًا، وأنت بحـمدِ الله رجلٌ عندكَ مـالٌ وفيرٌ. فـقالَ لهُ «أبو القاسـم» : معكَ حق يا أخى . . وسوفَ أذهبُ إلى النهرِ لأُلقى فيه بهذا الحَذاء، ثمَّ أعودُ للاسـتحمام. فقالَ الرجل : وأنا سوفَ أذهبُ إلى السوق وأشترى لكَ حذاءً جديدًا، وآتيكَ به فى الحمام. ذهبَ أبو القاسم إلى النهرِ وألقى الحذاءَ فيه، فغاص فى الماء، ثمَّ أتى بعضُ الصيادينَ، وألقوا شباكهم فى الماءِ ثمَّ سـحبوها، فوجدوا فيها حذاءً فعرفهُ أحدهم، وقـال : إنَّهُ حذاءُ «أبى القاسمِ» لعلَّهُ سقطَ منه فى النهر، وسوفَ أصنعُ فيهِ معـروفًا، وأذهبُ بالحذاء إليه فى بيته. وأتى الصيـادُ بيتَ أبى القاسمِ فلمْ يجده، فرأى نافـذةَ البيتِ مفـتوحةً، فألقَى بالحذاءِ منهـا؛ فسقطَ على الرف الذى عليه زجـاجاتُ ماء الورد؛ فسـقطتْ على الأرضِ وتحطمتْ، وسالَ مـاءُ الوردِ منها واختلطَ بالتراب. وفى الحمام كانَ أبو القاسم يغتسل، فلمَّا انتهى من ذلكَ خرجَ فوجدَ على بابِ الحمَّـامِ حذاءً جيدًا؛ فظنَّ أنَّهُ الحذاء الذى اشتراهُ صاحبهُ فلبسَه، وعادَ إلى بيته، فوجدَ حذاءهُ، ورأى ما حدثَ لبضاعته، فانـهمرت دموعهُ، وأخذَ يُحدِّثُ حذاءهُ، ويقـولُ له : ما الذى أتى بكَ أيُّهـا اللعينُ، لقـدْ حَطمت بضاعتى، وأهدرتَ ثروتى، ولا أدرى ماذا أفعلُ بكَ الآنَ. وبينما أبو القاسمِ يحدثُ حـذاءهُ إذْ سمعَ طرقًا شديدًا على بابِ بيتـه، فنهضَ وفتحَ البابَ فوجـدَ الشرطة يقتحـمونَ بيتـه، ويُقيِّدونَهُ بالحـديد فى يديه فقـالَ لهم: ما الذى تفعَلونهُ أيُّها الجنود؟ وماذا فـعلتُ حتى تقيدونى هكذا وكأنَّنى مـجرم أو لص؟ فقـالَ لهُ رئيسُ الشرطة: إنكَ لص بالفـعل يا أبا القـاسمِ، ألمْ تذهب إلى الحـمـام



اليوم، وتسرق حذاءَ القاضى؟ تعجبَ أبو القاسم مِمَّا سمع ثم قالَ: حذاءُ القاضى ؟!! فردَّ عليه رئيسُ الشرطةِ قائلا : نعمْ . . كانَ فى الحمامِ يغتسل، فلمَّا خرج لم يجد حذاءه، فسألَ عمَّن أتى اليومَ إلى الحمام فقالوا : إنَّه أبو القاسم، وها هو حذاء القاضى فى قدميك. وأخذهُ الجنودُ وذهبوا به إلى القاضى؛ فأمرَ بضربهِ تأديبًا له؛ ثمَّ حكمَ عليه بغرامة مالية زيادةً فى التأديب. عادَ أبو القاسمِ إلى بيته حزينًا مهمومًا، فلمَّا أتى الليلُ، ونامَ الناسُ أرادَ أنْ يتخلص منْ حذائه؛ فقامَ إلى جدارٍ بجوار بيته؛ وشرعَ فى حفرِ حفرةٍ بجانبه، فسمعَ الجيرانُ صوت الحَفر؛ فظنُّوا أنَّ أحدًا ينقبُ جدار بيتهم؛ فرفعوا الأمرَ إلى الحاكم؛ فأمرَ بإحضاره؛ وقامَ بزجرهِ وتوبيخه؛ وحكمَ عليه بغرامة مالية تعويضًا لصاحبِ الجدار؛ ثمَّ أودعهُ السجنَ لعدة أيام. خرجَ أبو القاسم منْ سجنه، فحملَ حذاءهُ وألقاهُ فى بالوعة مفتوحة؛ فسدها الحذاء، وفاضَ منها الماء، وانبعثَتْ فى الحى رائحةٌ كريهةٌ تضايقَ منها الناسُ، وبحثوا عن السبب؛ فوجدوا حذاءَ أبى القاسم وعرفوه، فرفعوا الأمر إلى الحاكم، فاستدعاهُ وحكمَ عليه بالحبسِ والغرامة. فلمَّا خرجَ أبو القاسم من السجنِ قرَّرَ ألا يفارقَ الحذاء؛ فغسلهُ وجعله على سطح بيته حتى يجف، فرآهُ كلبٌ وظنهُ طائرًا ميتًا؛ فحملهُ وقفزَ بهِ منْ سطحٍ إلى سطحٍ، فسقطَ منهُ فى الشارع على رأسِ أحدِ المارة؛ فجرحهُ جرحًا كبيرًا؛ فاجتمعَ الناسُ حوله، وعرفوا حذاءَ أبى القاسم. فذهبوا بهِ إلى القاضى؛ فأمرَ باستدعائه، وحكمَ عليه بتعويضٍ للرجل ومداواته، فنفد مالُ أبى القاسم؛ فحملَ حذاءهُ وذهبَ إلى القاضى، وقالَ له: سيدى القاضى. . إنَّ حذائى هذا بدَّدَ ثروتى؛ وجعلنى أضحوكَةً بينَ الناس، وإننى أرجو أنْ تكتبَ بينى وبينهُ مباراةً شرعيةً، توضحُ فيها أنهُ ليس منى، وأننى لستُ منه، وأنَّ كلا منَّا برىء من صاحبه، وأنهُ مهما يفعل هذا الحذاءُ لا أحاسبُ عليهِ. . ثمَّ قصَّ أبو القاسم على القاضى ما جرى لهُ بسبب هذا الحذاء. فضحكَ القاضى من ذلك، وعوض أبا القاسمِ عنْ بعض ماله الذى فقده.



خصمٌ عنيد

يُحكى أنَّ «خالد بن عبدِ اللـهِ القُسَرى» المعروفِ بالكرمِ والسخاء، خرجَ يومًا لقضاء بعضِ أموره، وكانَ المطرُ شديدًا، والجو باردًا، فركبَ فرسه، وحملَ سيفه، ومضى فى طريقه، فإذا برجلٍ عليه ثيابٌ ممزقةٌ يعترضُ طريقه، ويمسكُ بلجامِ فرسه، فدهش خالد وقالَ للرجل : ماذا تريدُ أيها الرجلُ؟ فقالَ لهُ الرجل: أستحلفك باللهِ يا سيدى أن تشفق على وتضربَ عُنُقى بسيفك هذا؟ فاستنكر خالد قولَ الرجل، وقالَ لهُ فى دهشةٍ بالغة: ولمَ يا رجلُ ؟! لماذا تريدُنى أنْ أضربَ عنقكَ وأتحمل وزركَ ؟!! هلْ فعلتَ شيئًا يوجب القتل؟!! فأجابَ الرجلُ: لا. فقالَ لهُ خالد: ألا تعلم أنَّ قتلَ النفسِ بغيرِ جريمةٍ اقترفتها توجبُ القتل، معصيةٌ عظيمةٌ حرمها الله تعالى؟ فبكى الرجلُ وقال: أعلمُ يا سيدى، ولكننى ضقتُ بحياتى؛ بسببِ خصمٍ عنيدٍ يطاردنى، ولايتركنى فى أىِّ مكانٍ أذهبُ إليه، بلْ يتعلقُ بى ودائمًا يهزمُنى. فسألهُ «خالد» قائلا: أىُّ خصمٍ هذا الذى يطاردك، ولا يتركك تعيشُ فى هدوءٍ، كما يجبُ أنْ يعيشَ الناسُ ؟!! فأجابَ الرجلُ قائلا: إنه الفقرُ يا سيدى. فقالَ لهُ خالد : مادامَ الفقرُ عدوكَ فالأمرُ الآنَ سهلٌ. . فكم منَ المالِ يكفيكَ لكى تتخلصَ منْ فقركَ؟ ردَّ الرجلُ قائلا : أربعةَ آلافِ درهم. فقالَ لهُ خالد : إذنْ تعالَ معى إلى المنزل. وعادَ «خالد القُسَرى» إلى المنزل، ومعهُ الرجلَ الفقير، فأعطاهُ أربعةَ آلافِ درهم، فخرجَ الرجلُ وجلسَ بجوارِ الباب، وظلَّ يعُدُّ دراهمه، فسمعَ «خالد» وهو يقولُ لمنْ معه: هلْ ربحَ أحدٌ مثلما ربحتُ اليومَ؟ قالوا: وماذا ربحت اليومَ؟ فقالَ خالد: ربحتُ ستة وعشرينَ ألفَ درهم. فقالوا: كيفَ ذلكَ؟! فقالَ لهم: عندما التقيتُ بهذا الرجل، ورأيتُ الفقرَ باديًا عليه، قررتُ فى نفسى أنْ أعطيهُ ثلاثينَ ألفَ درهم تعينه على حاله، فلمَّا طلبَ منى أربعةَ آلاف درهمٍ فقط، وفَّر علىَّ ستة وعشرينَ ألفَ درهم. فلمَّا سمع الرجلُ ذلكَ عادَ

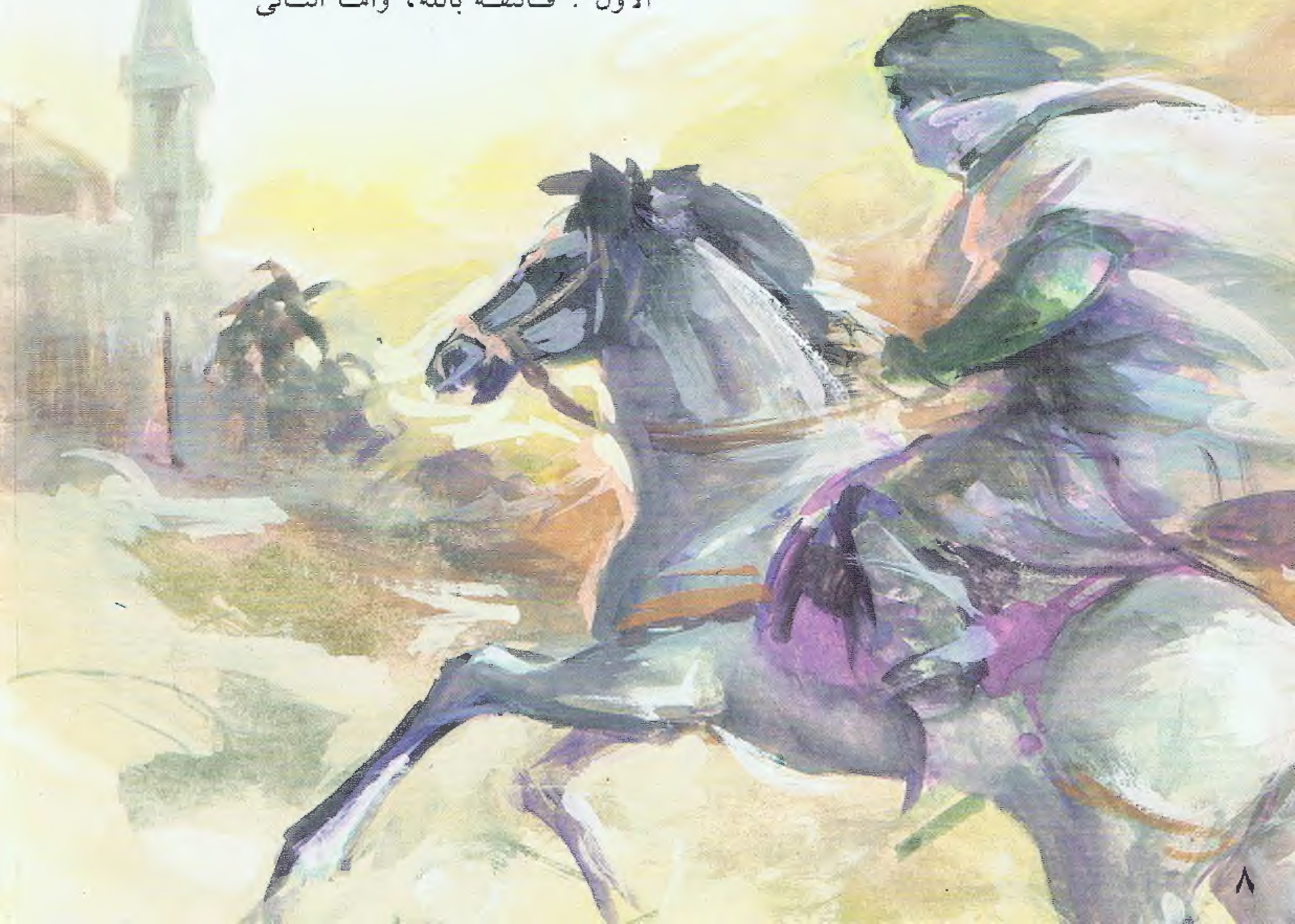




إلى خالد، وقالَ له: يا سيدى لا يليقُ برجلٍ كريمٍ مثلكَ أنْ يربحَ منْ فقيرٍ مسكينٍ مثلى ستةً وعشرينَ ألفَ درهمٍ دفعةً واحدة. وضحكَ «خالد» منْ مقولةِ الرجل، وقالَ لخادمه: يا غلام.. أعطهِ ستةً وعشرينَ ألفَ درهم. ثمّ قالَ للرجل: خُذْ مالك، واذهبْ فى أمانِ اللهِ إلى خصمكَ العنيد، واتقِّ اللهَ فيما أخذتَ منْ مال، ولا تنسَ إخوانك الفقراء بجزءٍ منه. وإذا عادَ إليكَ خصمكَ فارجعْ إلينا، لنعينكَ بفضلِ اللهِ عليه.

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الفَرَج

يُحكى أنَّ «الحجاج بْنَ يوسف الثقفى» والى العراقَ فى عـهد الدولة الأموية، غضبَ يومًا على أحد رؤساء القبائل؛ لنزاعٍ حدثَ بينهـما؛ فأمرَ الحجاج بتقييدهِ بـالحديد والسلاسل؛ وإيداعه فى السجن، وبقى الرجلُ على هذهِ الحال عدةَ أيامٍ، ثمَّ أرسلَ «الحجاجُ» إليهِ أحدَ حراسـهِ ليستطلع أمره، ويخبرهُ عنْ حالهِ، فلمَّا ذهبَ الحارسُ إلى الرجلِ فى سجنه وجدهُ مـسروراً منشرحًا، وقدْ كانَ يظنُ أنهُ سيجدهُ حـزينًا مهمومًا، فتعجبَ الحارس لذلك، وقالَ له : كيف تكونُ مسروراً مطمئن النفس، وأنتَ فى هذه الحال منَ السجنِ والظلامِ والقيود. فقالَ الرجل للحارس: لا تعجبْ من ذلكَ يا أخى.. فقدْ صنعتُ لنفسى دواءً منْ ستـةِ أشياء. فقالَ لهُ الحارس : ومـا هى تلكَ الأشيـاء. فـقالَ لهُ الرجل : أمَّـا الأولُ : فـالثقـةُ بالله، وأمَّـا الثـانى





فيقينى بأنَّ كلَّ مـا يحدثُ مكتوب ومقدرٌ عند اللهِ تباركَ وتعـالى، والثالثُ : الصبرُ؛ فالصبرُ مـفتاحُ الفرج، وهو خيرُ معينٍ علـى تحمل البلاء، والرابعُ : الرضا فإنْ لمْ أرضَ فماذا أفعلُ وليسَ فى اسـتطاعتى شىء؟ وأمَّا الخامسُ فالقناعةُ بأنَّ ما أنا فيـهِ أقل شدةً منْ غيره، والسادسُ : أنَّ الحالَ لا تدوم، وما بينَ طرفةِ عينٍ وانتبـاهتها يغيِّرُ اللهُ منْ حالٍ إلى حـال، وقدْ يأتى الفـرجُ فى أى لحظة. فقـالَ الحارسُ : صـدقت واللهِ يا أخى، فنعمَ الرجلُ أنت، وخير الدواء اسـتعملت. وعاد الحارسُ إلى الحجـاجِ وأخبرهُ بما دارَ بينهُ وبينَ الرجل، فتعجبَ الحـجاجُ ممَّا سمع، وأمرهُ بإخراجِ هذا الرجلِ منْ سجنه؛ ثمَّ وصلهُ بعدِ ذلكَ وأكرمه وقربه.

الأعرابي والدب

يُحكى أنَّ أعرابيا كانَ عـلى سفر، ومرَّ فى طريقهِ بغابة؛ فسـمعَ فيها صوت حيـوانٍ يتألم، فمضى ناحـيةَ الصـوت، فوجـدَ دبا جريـحًا مـربوطًا فى جذعِ شـجرة، وبـدت عليهِ عـلاماتُ الجـوعِ والعطشِ الشديدين، فرقَّ الأعـرابى لحاله؛ فأطعمهُ وسقـاه، وضمَّد لهُ جروحه، ثمَّ خلصه منَ الشـجرة، وظلَّ بجوارهِ حتى عادتْ إليه قـوته، وأحسَّ بالراحةِ وشعرَ الدُّب بما صنعهُ الأعرابى من أجله،فلازمـهُ وسارَ معهُ فى طريقِ سفره، وتوطدتْ بـينهما العلاقة، وصـارا صديقين لا يفتـرقان. وذاتَ يومٍ دخل الأعرابىُ أحدَ البساتينِ ليستريحَ فيـهِ، فجلس الدب بجواره، ونامَ الأعرابى، فجاءتْ ذبابةٌ ووقفتْ على وجهه، ثمَّ ذهبتْ بـعيدًا، ثمَّ عادتْ مرةً ثانيـةً واستقرتْ على وجهـه، فحاولَ الدب أنْ يُبـعدها عنْ وجهِ صـديقهِ فلم يفـلح؛ فقدْ كـانتْ تطن





وتذهبُ ثمَّ تعودُ ثانيـةً؛ فقامَ وحملَ حـجرًا كبيـرًا كانَ بجوارِهِ، وهوى بهِ على وجهِ صـاحبهِ بقوة؛ حـيثُ كانت الذبابة؛ فطارت الذبابةُ وتهـشمتْ رأسُ الأعرابى، وسالَ منـها الدم، وماتَ على الفـور. فجلسَ الدُّب يبكى هذا العمل الأحمق الذى قتلَ صاحبه، وصارَ أمرهما مثلا بينَ الناسِ.

أترى اللهَ يُعطيك وينساني

يُحكى أنَّ الخليفة العباسى «هارونَ الرشيدِ» خرجَ للحج مرة، ومرَّ بالكوفة، فرأى رجلا يلبسُ ملابسَ خشنةً وممزقة، ويمشى بينَ الناسِ بعزةٍ وإباء، وعندما اقتربَ منهُ موكبُ الخليفةِ لم يهتم به، ولمْ تؤثر فيهِ كثرةُ الجندِ وهيبته، فقالَ «هارون الرشيدُ» لوزيرهِ فى دهشة : من يكونُ هذا الرجل أيُّها الوزير؟ فقالَ الوزير. إنَّه «بهلولُ بنُ عمرو» يا أميرَ المؤمنين؟ فقالَ أميرُ المؤمنين : واللهِ إنى مشتاقٌ لرؤيتهِ منذُ زمنٍ طويلٍ، وأودُّ أنْ أستمع إليه، فإنَّ لهُ كلامًا طيبًا، وأشعارًا ونوادر جميلة، وقدْ سمعتُ عنهُ الكثير والكثير.. فقالَ الوزير: هلْ أدعوهُ إليكَ يا أميرَ المؤمنين؟ ردَّ أميرُ المؤمنين قائلا: نعمْ.. ولكنْ دونَ أنْ تضايقوه، أوْ ترغموهُ على ذلك. ذهبَ الوزيرُ إلى «بهلول» وقالَ له: إنَّ أميرَ المؤمنينَ يودُّ الحديث معك، فتعالَ معى لمقابلتهِ. فقالَ «بهلول»: اذهبْ يا هذا فليستْ لى رغبةٌ فى مقابلةِ أحد. عادَ الوزيرُ إلى أميرِ المؤمنينَ، وأخبرهُ بما حدث، فذهبَ «الرشيدُ» إلى بهلول وألقى عليه السلام، فرد عليه بهلول السلام، فقال الرشيد : يا بهلول لقد دعوتك لاشتياقى إلى مجالستك والحديث معى. فقال بهلول: ولكنى لمْ أشتقْ إليكَ يا أميرَ المؤمنينَ. فقالَ أميرُ المؤمنين لبهلول. عظنى يا «بهلولُ» باللّه عليكَ. فقال «بهلول»: وبمَ أعظكَ. فهذهِ القصورُ عنْ اليمين واليسارِ تعيشونَ فيها، وهذه القبورُ أمامكمْ تنتهونَ إليها؟ فقالَ «الرشيدُ» لبهلول: زدنى يرحمكَ اللّهُ فقدْ أحسنت. فقالَ «بهلول» : يا أميرَ المؤمنينَ منْ رزقهُ اللهُ مالا وجمالا، فعفَّ فى جماله، وأنفقَ منْ مالهِ على الفقراء والمساكين؛ كتبَ عندَ اللهِ





فى سجل الأبرار. ظنَّ «الرشيدُ» أنَّ «بهلولا» يريدُ مالا، فقالَ له: يا «بهلولُ».. لقدْ أمَرْنا لكَ بما يقضى ديونك، ويصلحُ منْ شأنك، ويساعدكَ على شئون حياتك. فقالَ «بهلول»: يا أميرَ المؤمنينَ .. ليس مثلى منْ يقبلُ شيئًا ليسَ منْ حقه، وقدْ نصحتكَ بمجاهدة نفسك، وتعويدها على فعلِ الخيراتِ ومساعدة المحتاجين. فقالَ «الرشيدُ» : إذنْ نجعل لكَ راتبًا شهريا. فقالَ «بهلول»: يا أميرَ المؤمنينَ .. أترى اللَّهَ يعطيكَ وينسانى؟ إنَّ اللهَ يرزقُ منْ يشاءُ بغيرِ حساب. وانصرفَ «بهلول» وتركَ «الرشيدَ» فى دهشةٍ وذهول.

دقة بدقة

يحكى أنَّ رجلا كـانَ منْ كبـارِ اللصوص، وأرادَ أنْ يتوبَ ويـعيش عيـشةً شريفـة، فكفَّ يدهُ عنْ السرقة. وافتتح لنفسهِ متجرًا يبيعُ فيهِ الأقمشة. وصدقَ فى تجارته معَ الناس؛ فاشتهرَ بينهُمْ بأمانته، وأقبلوا عليه يشترونَ منهُ ويودعونَ عندهُ أمـاناتهم. وذاتَ يومٍ مرَّ على المتجرِ لص فأعجبته بضـاعته. فانتظرَ حتى أغلقَ الرجل متجره، ثم تـنكر فى ثياب شبيهة لثيـابه. وفتحَ المتجرَ ثمَّ نادى على حارسِ السـوقِ وكانَ قدْ عُينَ بدلا من الحارسِ القديمِ لمرضه. وقالَ له: سـاعِدنى بالله عليكَ فى إعدادِ البضاعة، فإنَّ أحدَ التجـار اشتراها، ويريدُ السفرَ بها الليلةَ على ظهرِ السـفينة، فأسرعَ الحارس وقامَ بمساعـدتهِ وهو يحسبه التاجر الأمين. حـيثُ كانت الليلةُ شديدة الظلمة، ثمَّ قـالَ اللص: هلْ لى أنْ أسألك مسـاعدةً أخرى؟ فردَّ الحـارسُ على الفورِ: على الرحبِ والسعـةِ أيها التاجرُ الأمين المحبوب. فـقالَ لهُ اللص : خذْ هذهِ النقودِ وأحضر لى جمَّالا ليحـمل هذه البضاعة على جمله إلى التاجر، فذهب الحارس وأحضر جمَّالا معهُ، وساعدهُ فى تحميلِ البضاعةِ على الجمل، ثمَّ أغلقَ معهُ المتجر، وودعهُ باحترامٍ كما اعتاد أنْ يفعلَ معَ صاحبِ المتجر. وفى الصباحِ جاءَ صاحبُ المتجرِ وفتحه؛ فلمْ يجد به أقمشة، فنادى الحارس، وقـال له: كيفَ قضيتَ ليلـتك؟ فردَّ الحارسُ قائلا: لمْ أفـعلْ شيئًا جـديدًا . . فبعـدَ أنْ تركتنى وذهبتَ بالأقمشة، بقيتُ فى مكانــى أقومُ بالحراسة. فأدركَ الرجلُ أنَّ الحارسَ وقعَ ضحيةَ حـيلةِ أحدِ اللصوص، فقالَ له: حدثنى بكلِّ مـا حدثَ ليلةَ أمس. فقصَّ عليـه الحارس كل ما حـدثَ معه. فقـالَ لهُ صاحبُ المتجـر: هلْ تعرفُ الجمَّالَ الذى أتيتَ به؟ فردَّ الحارسُ قائلا: نعمْ أعرفه. فقالَ لهُ صاحبُ المتحر: هلْ لكَ أن تدلنى على بيته؟ أجابَ الحارسُ : نعمْ بكلِ سرور، إنهُ قريبٌ منْ هنا، هيَّا بنا إليـه. وذهبَ الاثنان إلى الجمال، وطلبَ منهُ التاجرُ أنْ يدلهُ على السفينة، التى نقلَ إليـها الأقمشة ليلة أمس، فقامَ الجـمالُ ودلَّهُما على السفينة، ودخلَ معـهما، وظلَّ يبحثُ معهــما على القُماش، الذى جـاءَ به ليلةَ أمس فلمْ يجدهُ، ولمْ يجد اللص أيضًـا، فذهبوا إلى صاحبِ السـفينة، وسألهُ التاجرُ بقوله: ألمْ يأت إليكَ أحـدُ التجارِ ليلةَ أمسٍ بأقمشة كثيرة يريد نقلها؟ أجـابَ صاحبُ السفينة قائلا: نعمْ جاءنى أحدُ الـتجارِ بالأمس، وطلبَ منى دلك؛ فأخبـرتهُ أنَّ إبحارَ السفينة بعـدَ يومين؛ فعدل عنْ رغـبتهِ فى السفر. ثمَّ أحضرَ جملا، وحملَ عليهِ البضاعة. وعادَ بها. فسألهُ التاجر: وهل تعرفُ صاحبَ الجملِ الذى أتى به



ليعــودَ بالبضــاعة؟ أجابَ صــاحبُ السفينة : نعــمْ. إنَّ مواصفــاتهِ كذا وكذا. . . فقالَ الجمَّال: إننى أعرفهُ هيَّا بنا إليهِ. فذهبَ الجـميعُ إلى الجمَّالِ الثانى. فدلهم على مكان مــهجورٍ فى قلبِ الصحراء، وضعَ فيــهِ اللصُّ البضاعة. فأسرعوا إليه، ودخلوه، ووجدوا فيهِ الأقــمشةَ المسروقة، وبجوارها ثوبٌ جديدٌ من ثيابِ اللصِّ، فعادَ التاجرُ ببــضاعته، ومعها ثوبُ اللص الذى قامَ التاجرُ بعــرضهِ على واجهة المتجر؛ طمعًا فى القبضِ على ذلكَ اللص. وبعدَ عدةِ أيام جاءَ أحدُ الشبابِ إلى المتجر، وطلبَ منَ التاجر أنْ يبيعهُ الثوب المعروض على واجهةَ المتجر، فأحضره التاجر، ووضعه بينَ يدى الشاب، فأخذ يقلب فيه، وينظرُ إليهِ مدهوشًا، فــارتابَ التاجرُ فى أمره، وظلَّ يرقبــه، وارتدى الشاب الثوب، ثمَّ قالَ للتاجــرِ: إنهُ مناسبٌ جدا؛ كأنهُ فُصِّلَ منْ أجلى. فقالَ التاجر: حسنًا. . بكمْ تريدُ أن تشتريهُ أيُّهــا الشاب؟ فقالَ الشاب: لنْ أدفعَ فيهِ درهمًا، كما لمْ تدفع فيهِ أنتَ أيضًــا. فتيقن التاجرُ أنَّ هذا الشابُ هــو اللصُّ الذِّى سرقَ بضاعته منذ عدةَ أيامٍ، فــأخذَ التاجرُ ينصحهُ ويحثهُ على التوبة، حتى عاهدهُ الشابُ على التوبة، والكفِّ عن السرقة.

عِنْدَ بائِعِ الدَّوابِّ

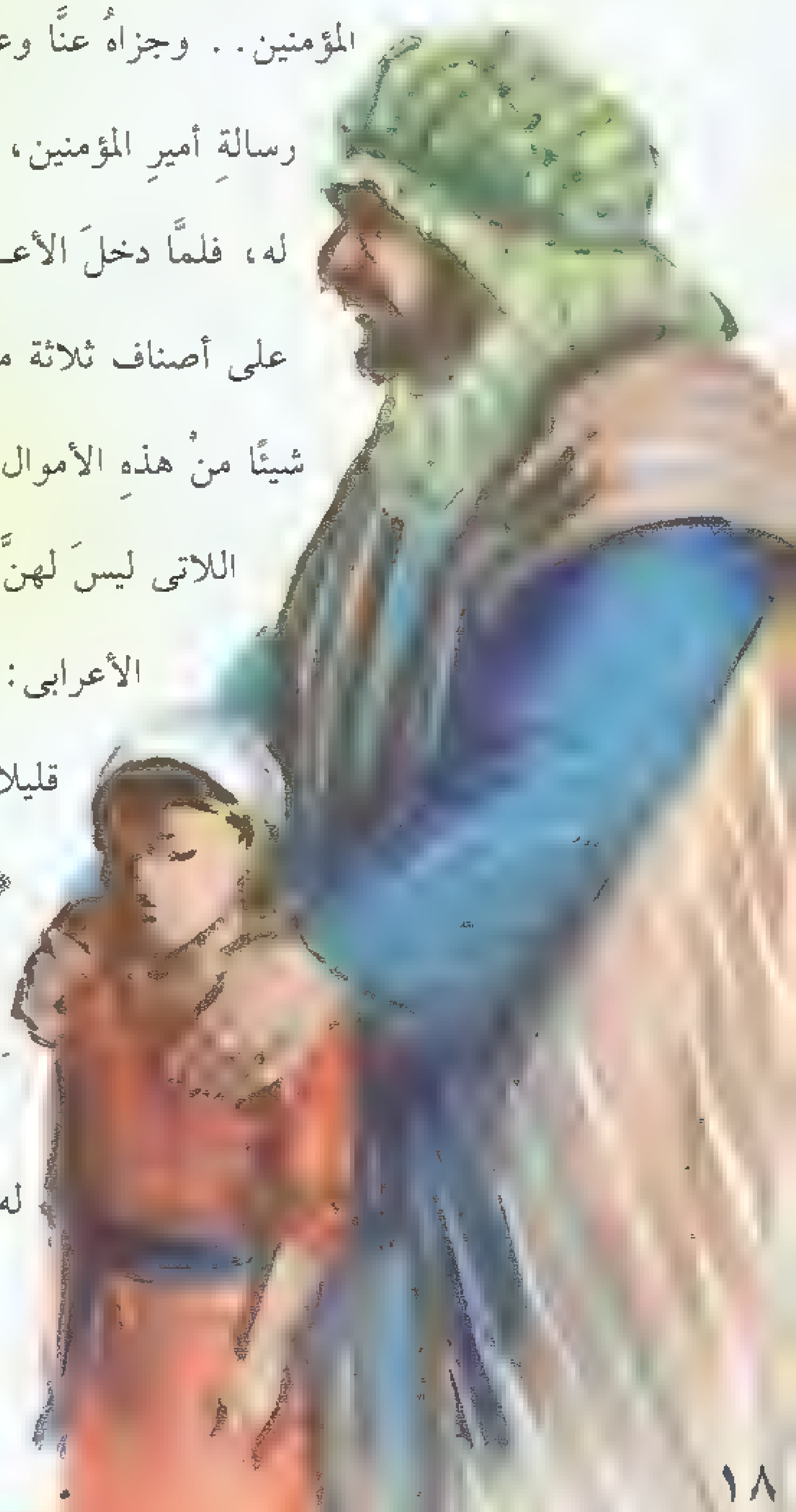
يحكى أنَّ «الهيثم بنْ عُدَيٍّ» أحـدَ العلماءِ الصالحين فى عهدِ الخليفة «المأمـونِ» كانَ يجول فى سوقِ الكوفة؛ لشراء بعضِ حاجيـاته، فرأى رجلا مكفوفَ البصر، يسيرُ بينَ الناس، فـاقترب منه، وأخذَ بيده، وقالَ لهُ: إلى أينَ أنتَ ذاهبٌ يا أخى؟ فردَّ الرجلُ قائلا: إننى أبحثُ عنْ بائعِ الدواب. فقال له الهيثم: إنه قريب من هنا وسوف أصحبك إليه. فقـالَ لهُ: جزاك اللهُ خيرًا يا أخى؛ وأكثرَ منْ أمثالك. واصطحبهُ الهيثم، وذهبَ بِهِ إلى بائعِ الدواب الذى قالَ: مرحبًا بكما.. هلْ منْ خدمة أستطيعَ تقديمها؟ فقالَ الرجل: إننى أريدُ أنْ أشترى منكَ حمـارًا.. فقالَ البائع: تريده صغيـرًا أمْ كبيرًا؟ فقالَ الرجل: أريدهُ حـمارًا لا يكونُ بالصغير المحـتقر، ولا بالكبيرِ المشتهر، إذا خلا لهُ الطريقُ تدفق، وإذا كثر الزحامُ ترفق، إنْ أقللتَ علفهُ صبر، وإن أكثرتهُ شكر، وإذا ركبتهُ هام، وإذا ركبـهُ غيـرى نامَ. فقالَ لهُ البـائع: أمتـأكدٌ أنكَ جئتَ تشترى حمارًا، أمْ أنكَ جئت تمزح؟ فقالَ الرجل: بلْ جئتُ أشترى حـمارًا أيها البائع. فقالَ البائعُ مـستهزئًا: ليسَ عندى طلبكَ الآنَ يـا أخى، ولكن اصـبـر؛ لعلَّ الله يحـقق طلبك. فإذا مسخَ اللهُ القاضى حـمارًا، أصبتَ بِهِ حاجتك، وأتيتكَ بِهِ إنْ شاءَ الله.





الطمّاع والأمير

يُحكى أنَّ «أبا جعفر المنصور» الخليفة الثانى للدولةِ العباسية أرسلَ يومًا أحدَ أعوانه برسالة إلى والٍ منْ ولاته، يأمرهُ فيها أنْ يوزعَ ما لديه منْ مال على أصنافٍ ثلاثة من الناسِ وهم: القواعدُ، والعميانُ، والأيتامُ، فسألَ الوالى معاون الخليفة قائلا له: أخبرنى بالله عليكَ.. ما الذى دعا الخليفةَ إلى تخصيص كل الأموالِ على هذه الأصنافِ من الناس، ويوجدُ الفقيرُ والمسكينُ وذو الحاجة؟ فقالَ الرجل: أيُّها الوالى..لقدْ خص الخليفةُ هذهِ الأصناف منَ الناسِ لضعفهم؛ وقلة حيلتهم وفقدانهم لمن يعولهم. فقالَ الوالى: أصلحَ اللهُ أميرَ المؤمنين.. وجزاهُ عنَّا وعن المسلمينَ خير الجزاء. وشرعَ الوالى فى تنفيذِ ما جاءَ فى رسالةِ أميرِ المؤمنين، ولكنَّهُ سمعَ بصوتِ أحدِ الأعرابِ يطلبُ الدخولَ عليه، فأذنَ له، فلمَّا دخلَ الأعرابى قالَ: سيدى الوالى.. إننى سمعتُ أنَّ أموالا ستوزعُ على أصناف ثلاثة منَ الناس، فجئتُ إليكَ لتكتُبنى فى قائمة القواعد، حتى أنالَ شيئًا منْ هذهِ الأموال. فقالَ لهُ الوالى: عافاكَ اللهُ يا أخى، فالقواعدُ هنَّ النساءُ اللاتى ليسَ لهنَّ أزواج ولا أولاد وليسَ لهنَّ منْ يقومُ على رعايتهن. فقالَ الأعرابى: إذن فاكتبنى فى العميان. فنظرَ إليهِ الوالى متعجبًا، وفكَّرَ قليلا، ثمَّ قالَ لأعوانه: اكتبوهُ فى العميان؛ فقدْ قالَ اللهُ تعالى: ﴿فإنَّها لا تعمى الأبصارُ ولكنْ تعمى القلوبُ التى فى الصدورِ﴾. فقالَ الأعرابىُ: واكتب ابنى فى الأيتامِ. فدهش الوالى، وزادَ تعجبهُ منْ جشعِ الأعرابى، وسوءِ فهمهِ، وقالَ له: سأفعلُ ذلكَ يا هذا، فمنْ كنتَ أنتَ أباه فهو يتيمٌ.





مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا

يُحكى أنَّ الناسَ اعتـادوا بائعِ لبنٍ يمر عليهم كلَّ صبـاح؛ فيبيعُ لهم، وذاتَ صـباحٍ فوجئَ الناس بصوت غلامٍ ينادى ويقول: معى اللبنُ المغشوشَ. .مـعى اللبن الممزوج بالماءِ. فأسرعَ الناسُ نحوه، والتفوا حوله ، وقالوا لهُ : ماذا تقولُ يا غلام؟ أحقا مـعكَ لبنٌ مغشوش؟ ومن أرسلكَ به؟ أجابَ الغلامُ: نعمْ واللهِ معى لبنٌ مغشوش، أرسلنى بهِ بائع اللبن الذى كانَ يمر عليكمُ كلَّ صباح. فسألوه قائلينَ: وكيفَ عرفتَ ذلكَ يا غلام؟ أجابَ الغلامُ قـائلا: لقدْ رأيتهُ بعينى وهو يخلطُ اللبنَ بالماء، وطلبَ منى أنْ أسـاعدهُ فى بيعه؛ لأنَّ القريةَ كـبيرة، ولمْ يَعدْ فى استطاعـته أنْ يوزعَ اللبنَ فيهـا بمفرده، فلمَّا رأيتهُ يغش اللبنَ بالماء، طلبَ منى ألا أخـبرَ أحدًا بذلك، فهو يفعله كلَّ يومٍ، والناسُ راضونَ عنْ لبنه. وعلمَ صاحبُ اللبنِ بما فعلهُ الغلام، فأسرعَ إليهِ وأوسعهُ ضربًا وركلا أمـامَ الناس، فاقـتادوهُ إلـى القاضى، وبرفـقتـهم الغـلام، وقصَّ الناسُ على القاضى ما حدثَ، فسألَ الغلامَ بقولهِ: كيفَ عرفتَ يا بُنى أنَّ اللبنَ مغشوش؟ أجاب الغلام قائلا: لقد رأيتُ هذا الرجلَ يمزجهُ بالماء، فقلتُ لهُ: لماذا تفعلُ ذلكَ؟ فقالَ لى: أنا حر فى بضاعتى. فحذرتهُ منْ عاقبة الغش، وأنَّ منْ غشَّ المسلمين ليس منهم، وأعلمتـهُ بأننى سوفَ أخبرُ الناسَ بما رأيته؛ لأننـى أحب الناس وأكرهُ منْ يغشـهم. فسـخرَ منى، وظن أننى أمـزح، فقال: قلْ مـا تريدُ فلنْ يصـدقكَ أحد. فخـرجت منْ عنده، ومعى اللبنُ المـغشوش، ثم أخـبرتُ الناسَ بالحقـيقة، فـجاءَ وضربنى. فأمرَ القاضى بإحضارِ اللبن، ثمَّ تذوقهُ فتَبينَ صدقَ الغلام؛ فاضطربَ صـاحبُ اللبن، ثمَّ اعترفَ بالحـقيقـة؛ فأصدرَ القـاضى أمرهُ بمصـادرةِ اللـبنِ الذى فى بيتـه، ومنعـهُ منْ بيعِ اللبنِ ثانيـة. كـمـا



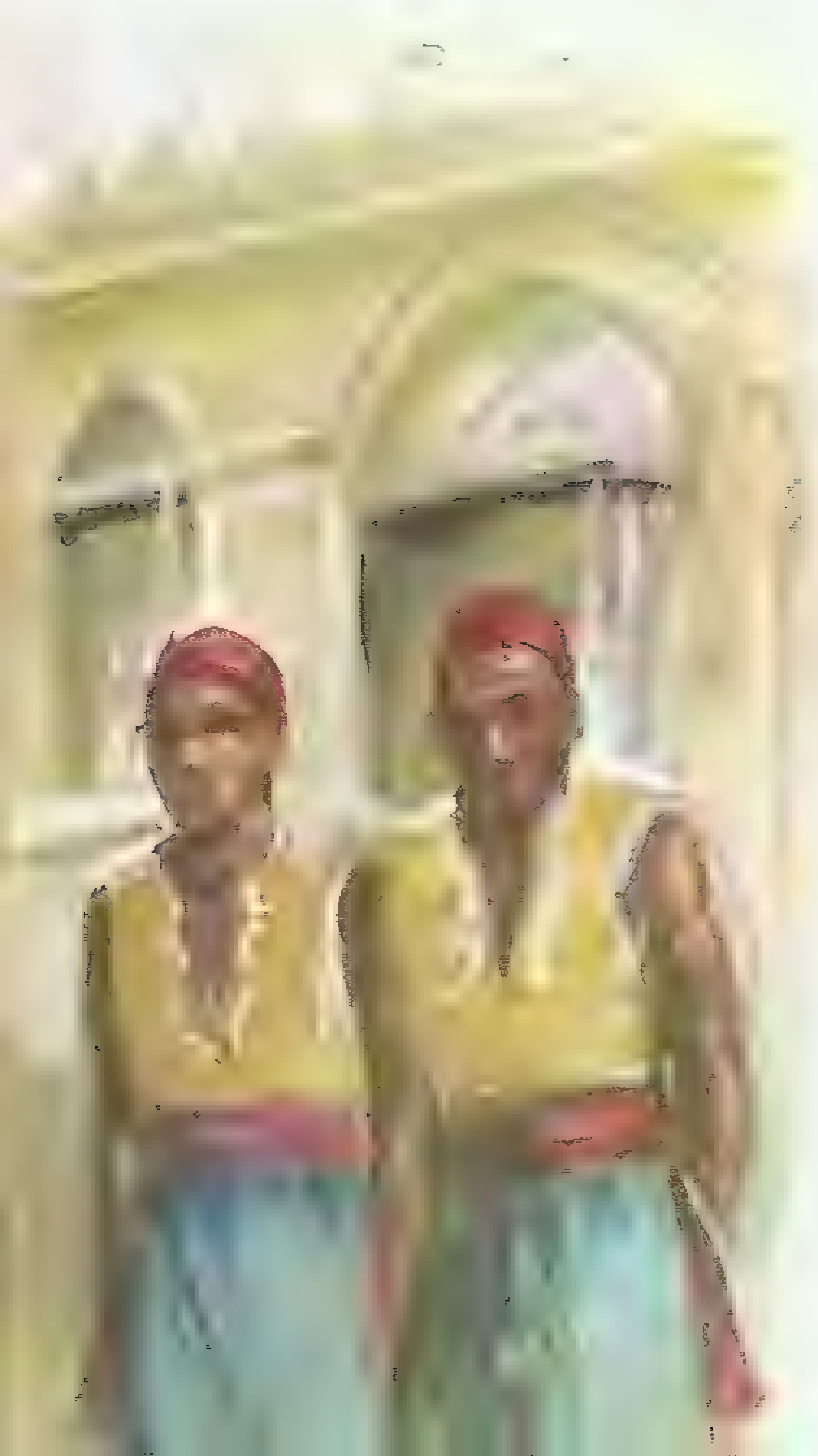
أمرَ بتوقيعِ عقوبةٍ شديدةٍ عليه؛ لأنَّه غشَّ الناس، وألحق القاضي الغلامَ بخدمته؛ لصدقهِ وأمانته؛ وحبهِ للناس.



أنفق كل ماله

يُحكى أنَّ ثلاثةً منَ العربِ جلسوا بفناءِ الكعبة، يتحدثونَ عن الكرم، ويذكرونَ مناقبَ الكرماء، فقالَ أحدهم:

أسخى الناسِ فى عصرنا «عبدُ اللهِ بنُ جعفر» ابنُ عمِّ رسولِ اللهِ ﷺ. ردَّ الآخرُ قائلا: لا.. بلْ إنَّه «قيسُ بنُ سعيد بن عبادةَ». فقالَ الثالثُ: لا هذا، ولا ذاكَ بلْ إنَّ أسخى الناس فى عصرنا هو «عرابةُ الأوسيُّ» وارتفع صوتُ الثلاثة، وحاولَ كلٌّ منهم أن يثبتَ الكرمَ والسخاءَ لمنْ اختاره، وتجمعَ الناسُ حولهُم، فقالَ لهم رجل: لقدْ أكثرتم الكلام، وارتفعت أصواتكُم، وإنى أرى أن يذهبَ كلٌّ واحدٍ منكُم إلى صاحبه، ويسأله أن يعطيهُ منْ فضلِ اللهِ عليه، ثمَّ ننظر ما يعودُ بهِ كلُّ واحد منكُم، ليعرفَ الناسُ منْ هو أكرمُ الثلاثةَ ويحكموا له. فقالوا فى صوتٍ واحدٍ: فكرةٌ طيبةٌ.. وقامَ الثلاثة ومضى كل واحدٍ منهم فى طريقهِ إلى صاحبه، فذهبَ أولهم إلى «عبدِ الله بن جعفرَ» فوجدهُ قد استوى على ناقته، عازمًا على الذهابِ إلى بستانٍ لهُ خارجَ مكة، فقالَ لهُ الرجلُ: يا ابنَ عمِّ رسولِ الله ﷺ إننى عابرُ سبيل، وقد نفدَ مالى.. وقبل أن يتمَّ الرجلُ كلامهُ نزلَ عبدُ اللهِ من فوقِ ناقته، وقالَ للرجُل: ضعْ رجلَك، واستوِ على الناقة، وخذ ما فى الحقيبةِ فهو لك، فركبَ الرجلُ وأخرجَ ما فى الحقيبة، فوجد بها أربعةَ آلافِ دينار.. وذهبَ الثانى إلى بيتِ «قيس بن سعيدِ بن عبادةَ»، وطرقَ بابه، فخرجتْ له جارية، فسألها عن سيدها، فقالتْ له: إنهُ نائمٌ. ما حاجتك؟ فقالَ لها: أنا عابرُ سبيلٍ، نفدَ مالى وزادى، وكنتُ أريدهُ؛ لعلَّه يُعينُنى على حاجتى، فقالتْ له الجارية: حاجتك أهونُ منْ إيقاظه، هذا كيسٌ فيه سبعمائة دينارٍ ليس فى دارِ قيسٍ غيرها، واذهب إلى مراعى الإبلَ التى



فى مكانِ كذا، وخذْ إحدى هذه الإبل، وضع عليها ما يجعلها صالحةً لسفرك، واختر لنفسك أحدَ العبيد، ثم امض لشأنِك، فلمَّا استيقظَ قيسٌ أخبرته الجاريةُ بما فعلتْ؛ فأعجبَ بحسنِ تصرفها، وأعتقها لوجهِ اللهِ على حسنِ صنيعها.. وذهبَ الرجلُ الثالثُ إلى بيتِ «عرابة الأوسى» فوجدهُ خرجَ يريدُ الصلاة، فأسرعَ خلفهُ والتقى بهِ فى الطريقِ وقالَ له: يا عرابة.. إننى عابرُ سبيل، وقد نفد مالى وزادى. فنظر «عرابةُ» إليه، وكان بصحبتهِ عبدانَ وقالَ له: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، والله ما أصبحَ ولا أمسى عند «عرابة» شيء يملكه سوى هذينِ العبدين، وهما لك. فقالَ الرجل: واللهِ ما كنتُ بالذى يسلبكَ عبديك. فقالَ «عرابةُ»: يا أخى سواءٌ أخذتهما أم لا فقد وهبتهما لوجهِ الله، فإن شئتَ فخذهما، وإنْ شئتَ فأعتقهما، وإلا فهما حرَّانِ لوجهِ اللهِ تعالى. فأخذهما الرجلَ ومضى.. واجتمع الرجالُ الثلاثة، وقصَّ كلّ منهم حكايته، فحكم الناسُ لعرابةَ، لأنه أعطى كلَّ ما يملك.



جَزاءُ الغُرور

يُحكى أنَّ رجلا غريبًا مرَّ بسوقِ المدينة، وكانَ يلبسُ ملابسَ فاخرة، وتبدو عليهِ علاماتُ الغرورِ والتكبر، وكانَ كلما مرَّ ببائع هزئَ به، وسخرَ منْ فقره، حتى مرَّ ببائعِ زيتٍ يحملُ الإناءَ على كتفه، فقالَ لهُ بكبرياء : أنزل هذا الإناءَ يا رجلُ. . نرى زيتكَ علّنا نشترى. وعندما حاولَ الرجلُ إنزالَ الإناء، أفلتَ منه وسقطَ على الأرض، وتهشمَ وتناثرتْ منهُ بعضُ قطراتِ الزيتِ على ملابسِ الرجلِ المغرور، فصاحَ فى البائعِ قائلا: أيُّها الغبى. . ماذا فعلت؟ إنّ ثمنَ ثوبى هذا ألف درهم، ولنْ أتركَكَ حتى تدفعَ ثمنه. فقالَ البائع : ألفُ درهم !!! من أينَ يا سيدى وأنا رجلٌ فقيرٌ؟! لكنَّ الرجلَ المغرورَ أصرَّ على طلبه، وتجمع الناسُ حولهما، فقالَ البائع : تعالَ معى يا سيدى إلى بيتى، وسوفَ أزيلُ هذا الزيتْ بطريقةٍ خاصة. فقالَ الرجلُ المغرور : أنا أذهبُ إلى بيتكَ أنت أيُّها الفقيرُ الغبى، لابد أن تدفع الألفَ درهم، وكانَ بينَ الناسِ شابٌّ ذكىٌّ ضاقَ من غطرسةِ هذا المغرورِ أمامَ البائعِ الفقير، ففكرَ فى حيلة؛ ليعطيه درسًا ويرتدعَ عنْ غروره فقالَ : خذ هذا الكيسَ بالألف درهمٍ ثمنَ الثوب. أخذ المغرورُ الكيسَ وعدَّ ما بهِ منْ نقود، وعندما تأكد منْ تمامِ النقودِ همَّ بالانصراف، فأوقفهُ الشابُّ الذكىَّ وقال له : إلى أينَ يا سيدى ؟ فقالَ الرجلُ المغرور : إلى حال سبيلى. فقالَ لهُ الشاب: لقد دفعتُ لك ألفَ درهمٍ ثمنًا للثوب، وقدْ دفعت الثمنَ ولمْ آخذ البضاعة. فقال المغرور بكبرياء: ماذا تعنى أيُّها الفتى ؟ ردَّ الشابُ قائلا: إنَّ الثوبَ الآن من حقى. فقالَ المغرور: وأمشى عاريًا! أهذا معقول؟! ردَّ الشابُّ قائلا : وهل من المعقولِ أنْ تأخذَ مالا بلا مقابل. ووقفَ الناسُ فى صفِ الشابِ الذكىِّ، الذى قالَ للمغرور: إما أنْ تعطينى الثوب، وإمَّا أن تشتريه منى. فقالَ المغرور : خذ إذًا الألف درهم. ضحكَ الشابُّ الذكى وقالَ : لا . . فطالما أنَّ الثوبَ ثوبى. فمنْ حقى أن أحدد ثمنهُ ، فإنه يساوى ألفى درهم، وإذا لم تدفعها الآن؛ أخذتُ الثوبَ لأبيعهُ لغيرك. ولمْ يجد المغرور مفرا إلا الخضوعَ لمنطقِ الشاب، فدفعَ لهُ ألفى درهم، أخذَ منها الشابُّ الذكى الألفَ التى دفعها له، وأعطى بائعَ الزيتِ مائة درهمٍ مقابلَ خسارته، وإهانة المغرور له. وأمَّا الباقى فدفعهُ إلى خزانةِ المدينة؛

لتنفقَ على فقراءِ المدينة، وعادَ المغرور يجرُّ أذيالَ الخيبة.



عجوزٌ أفقهُ من عُمر

يُحكى أنَّ عُمرَ بنَ الخطابِ ـ رضى اللهُ عنهُ ـ عندما كانَ فى طريق عودته من الشام، مرَّ على خيمةٍ تجلسُ أمامها امرأةٌ عجوز؛ فـأخذتهُ الشفقةُ عليها، وتوجَّه نحوها ليتفقد أحوالهـا، فاقتربَ منها وحيَّاها ثمَّ سألها : هل لديكِ أخبارٌ عن عُمرَ بنِ الخطابِ يا خالة؟

فقالت المرأة بعدمِ اكتراث : يقولونَ إنه ذهبَ إلى الشامِ وعادَ منها سالمًا. فقالَ عمرُ ملاطفًا : فما رأيك فيه؟

صاحت العجوزُ بغضبٍ قائلةً: يا هذا ، لا جزاهُ الله عنى خيرًا.

اقشعرَّ جسدُ عمرَ من هولِ ما سمع، وسألها بلهفةٍ : لماذا يا خالة؟ فردَّت العجوزُ بحزن وأسى : لأننى لمْ أحصل فى عهدِه على دينارٍ ولا درهم، وإننى كما ترى امرأةٌ عجوزٌ وليسَ لدىَّ مال، وليسَ عندى أحدٌ يقومُ على شئونى ورعايتى.

تساءلَ عمرُ باعتذارٍ وكيفَ يعرفُ عمرُ بحالك، وأنت تعيشينَ فى هذا المكانِ المنعزلِ البعيد؟! أجابتْ العجوزُ بثقة : سبحانَ الله !! وكيفَ أصبحَ خليفةً دونَ أنْ يعرفَ كلَّ شيءٍ عن رعيته، والله ما ظننتُ لحظةً أن يتولى أحدٌ أمورَ الناسِ ولا يعرف ظروفهم سواءٌ أكانوا فى المشرقِ أمْ فى المغرب. بكى عمرُ بكاءً شديدًا، ثمَّ قال: واعمراه! كلُّ الناسِ أفقهُ منكَ حتى العجائز يا عمر. ثمَّ نظرَ إلى العجوز وقالَ لها : يا خالة .. إننى أعرضُ عليكِ صفقة وأرجو أن توافقينى. فقالت العجوزُ: أى صفقةٍ يا بنى وأنا امرأةٌ فقيرةٌ ولا أملكُ شيئًا؟ فقالَ عمرُ مستعطفًا : أعرضُ عليكِ أن تسامحى عمرَ ، وأشترى منكِ تسامحك؛ حتى أرحم عمرَ من العذابِ والنار. ابتسمت العجوزُ وقالت : يا بُنى .. لا تهزأ بى، يرحمك اللهُ. فقالَ عمرُ باهتمام: إننى لا أهزأ بك، وإنى صادقٌ فيما أعرضهُ عليك، وسوفَ أعطيكِ خمسةً وعشرينَ دينارًا إذا سامحتِ «عمرَ بنَ الخطاب» .

فقالت العجوزُ غيرَ مصدقةٍ : لقدْ سامحتهُ يا بنى. وفى تلكَ اللحظةِ أقبلَ عبدُ اللهِ ابنُ مسعود وعلى بنُ أبى طالبٍ نحوهُما فقالا : السلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنينَ. . السلامُ عليك يا خالة. فاضطربتْ العجوز، ووضعتْ يدها

على رأسِها، وقالت : واسوءتاهُ.. لقدْ شتمتُ أميرَ المؤمنينَ فى وجهه! فقالَ لهـ عُمرُ : لا تخافى يا خالة، ولا بأسَ عليكِ يرحمكِ الله.

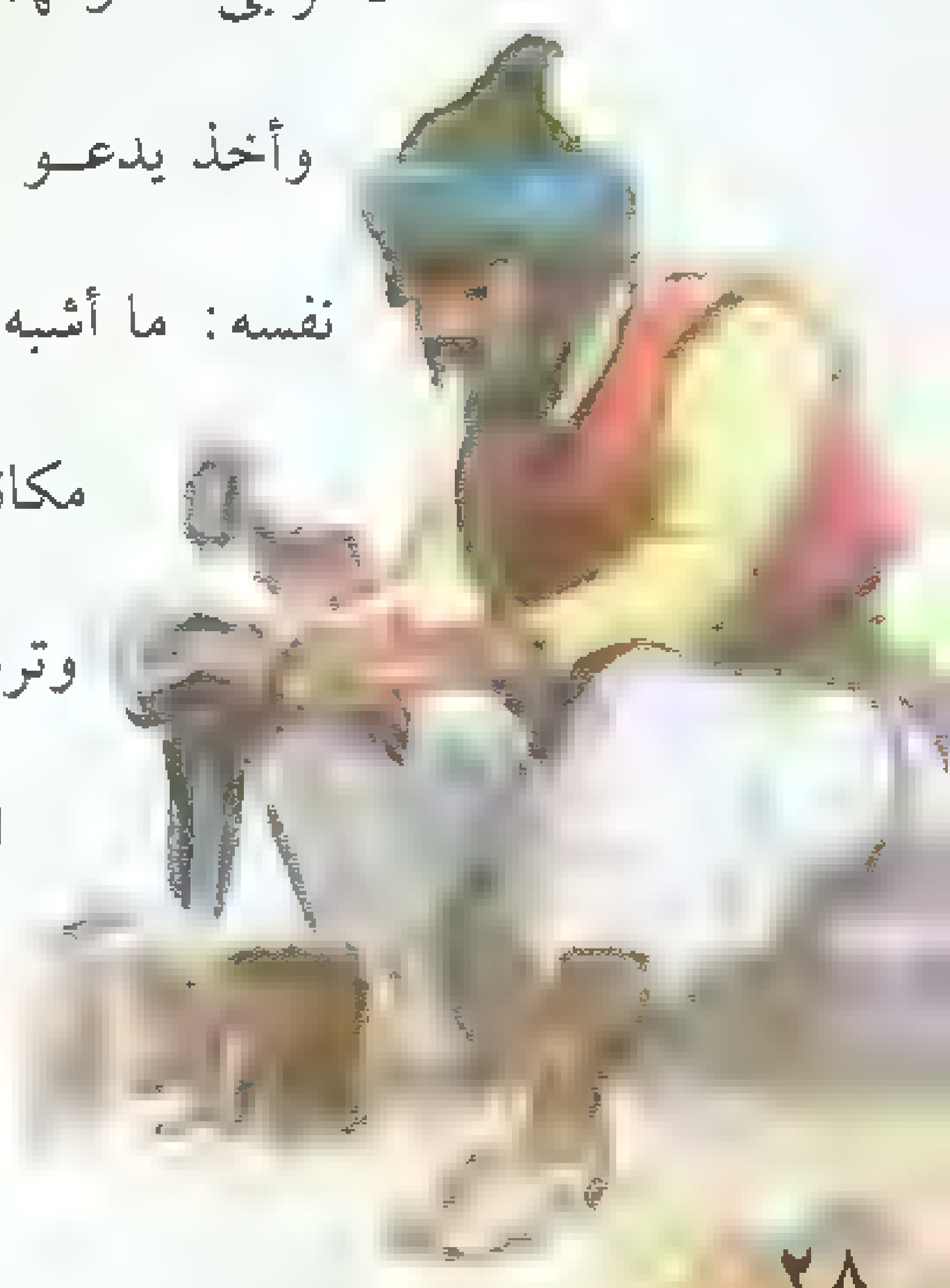
ثمَّ بحثَ عُمرُ حولهُ عن شيءٍ يكتبُ عليهِ فلم يجد. فقطعَ قطعةً من ثيابه، وكتبَ فيها : «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اشترى عمرُ من فلانة ظلامَتَها منذُ ولى الخلافة إلى يومٍ كذا بخمسةٍ وعشرينَ ديناراً، فما تدَّعى عليهِ عندَ وقوفهِ فى المحشرِ بينَ يدى الله تعالى فعمر برىء منه». ثمَّ طلب «عمرُ بنُ الخطابِ»من «على بن أبى طالبٍ»، و«عبدِ اللهِ بنُ مسعودٍ» أن يشهدا على هذه الوثيقة، فشهدا، ثمَّ أخذها «عمرُ» وأعطاها لابنه، وقالَ له: يا بنى .. إننى أوصيكَ أن تضعَ هذهِ الوثيقةَ فى كفنى عند موتى حتى ألقى بها ربى.



رجع بخفى حنين

يُحكى أنَّ رجلا إسكافًا اسمهُ «حنين» عرفَ بجودةِ صناعته، وطيبِ خلقه، وخدمته للناس، وذاتَ صباحٍ جلسَ حُنين فى الطريق، ليبيع بضاعته، فمرَّ عليهِ أعرابى قادمٌ من سفرٍ. وكانَ قدْ سمعَ بصناعتهِ الجيدة. فقالَ له : أريدُ أنْ أشترى منكَ يا «حنينُ» خُفَّين جديدينِ مثلَ خفيكَ اللذينِ تلبسهُما فى قدميك. فضحكَ «حُنينٌ» وقالَ له: ليسَ لدىَّ مثلهما الآن، ولكنْ عندى خُفَين لا يقلانِ عنهما فى الجودة. فقالَ الأعرابى: أرنى إياهما. فقالَ حنينٌ : ها هما. . فأمسكَ بهما الأعرابى، وجعلَ يقلبُ فيهما، وينظرُ إلى خفى حنين، ثمَّ قال: إنهما ليسا مثلَ خفيكَ يا حنينُ، ولكنهما جيدان، بكمْ تبيعهما؟ فقالَ «حُنين»: بعشرةِ دراهمٍ. فصاحَ الأعرابى وقالَ : عشرة دراهم !! هذا كثيرٌ يا حنين، ألا ترحم يا رجل؟ فقالَ حُنين: يا أخى إنَّ ثمنهُ أكثرُ منْ ذلك، وقد خفضته لكَ لأنكَ قادمٌ من سفرٍ. فقالَ الأعرابى: لنْ أدفع فيهما إلا خمسةَ دراهم فقطْ يا حُنين. فقالَ حُنين : إنك بذلك تخسرنى فى بضاعتى يا رجل؛ وأظن أنَّ ذلكَ لا يرضيكَ. فقالَ الأعرابى:

لن أشترى منكَ يا حُنين، وسأحدث الناسَ عن إستغلالكَ وجشعك. وظلَّ الأعرابىُّ يصيحُ ويتوعد، ويهددُ ثمَّ دفعَ «حنينًا» فى صدره؛ فوقعَ على الأرض، وأخذَ بزمامِ ناقته وانصرف، فحدّثَ حُنين نفسهُ وقالَ : لقدْ ظلمنى الأعرابى. . واتهمنى بالاستغلال والجشع، معَ أننى خفضتُ لهُ السعر، وراعيت أنّه على سفر، وأخذ يدعو اللهَ أن يردَّ عليه ظلمهُ . ومضى الأعرابى فى طريقهِ فرأى خفا، فقالَ فى نفسه: ما أشبه هذا الخفِ بأحد خفى حُنينٍ، ولو كان معهُ الخف الآخر لأخذته. وتركه فى مكانهِ ، وسار فى طريقه، حتى رأى الخفِ الآخر، فندمَ على تركه الخف الأول، وتركَ ناقتهُ وما عليها من متاعٍ بجانب الخف الآخر. وعادَ مسرعًا ليأتى بالخف الأول. حيثُ كانت المسافةُ بينهُما غير بعيدة. وأنساهُ طمعهُ أن يربطَ ناقته، فجرتْ بعيدًا بما عليها من متاعٍ. فلمَّا عادَ الأعرابىُّ ومعه الخفُّ الأولُ لمْ يجد



ناقتهُ ومتــاعه. ووجدَ الخف الآخرَ مكانه؛ فأخذهُ وظلَّ يبــحثُ عنْ ناقتهِ ومتاعه؛ فلمْ يعــثرْ على شيء، فعادَ إلى قومهِ وفي يدهِ خفان، فقالوا لهُ : أينَ ناقتكَ ومتاعكَ؟ فـقالَ لهم : فقدتُهما فى الطريق. فسخِروا منهُ وقالوا له: وماذا جئتَ بهِ منْ سفركَ؟ فأجابَ قائلا : جئتُ بخفَّى حُنين.

فـضحكوا منهُ، وقــالوا : عــادَ بخفَّــى حُنينٍ. (وظلَّ مثــلا يضــربهُ العربُ فــى الغفلةِ وســوءِ التصرف).



إيمانٌ صبيٍّ

يُحكى أنَّ العالمَ الجليلَ «أبا يزيدٍ البسطامىَ» كانَ شديدَ الذكاء فى طفولته، وأرسلهُ أبوهُ إلى أحدِ العلماء، ليحفظَ على يديهِ القرآن الكريم، فلمَّا حفظَ «أبو يزيدٍ» قولَ الله تعالى : ﴿يأيُّها المزمِّل قُمِ الليلَ إلا قليلا﴾ جاء إلى أبيهِ وقالَ له: يا أبتِ من المقصودُ بالمزملِ فى هذه الآية؟ فقالَ الأب: إنه سيدنا محمد ﷺ. فقالَ الابن: يا أبتِ لماذا لا تقومُ فى الليل، وتصلى لله كما كانَ الرسولُ ﷺ يفعلُ؟ فردَّ الأبُ قائلا: يا بُنى . . إنَّ اللهَ أمرَ نبينا محمدًا ﷺ بقيامِ الليل، وخصهُ دونَ بقيةِ المسلمين. اقتنع الطفل بكلامِ أبيه، وذهبَ ليكملَ حفظه؛ فلمَّا حفظَ قولهُ تعالى ﴿ إنَّ ربكَ يعلمُ أنَّكَ تقومُ أدنى من ثُلُثى الليلِ ونصفهُ وثُلُثَهُ وطائفةٌ منَ الذينَ معكَ ﴾ عادَ إلى أبيه وقالَ له : يا أبتِ . . إنَّ اللهَ ذكرَ فى كتابهِ أنَّ جماعةً منَ المسلمينَ كانوا يقيمونَ الليل معَ النبىِّ ﷺ فمن يا ترى تكونُ هذه الجماعة؟ ردَّ الأبُ قائلا : يا بنى . . إنهم صحابةُ رسولِ الله ﷺ.

فقال الابن: لماذا يا أبتِ لا تفعلُ مثلما فعلَ الصحابة، فأىُّ خيرٍ فى تركِ ما عملهُ النبى ﷺ وصحابتهِ رضوانَ اللهِ عليهم جميعًا ؟ !!

فردَّ الأبُ قائلا : صدقتَ واللّهِ يا بنى.. فإنَّ الخيرَ فى الاقتداءِ بأفعالِ الرسولِ ﷺ وصحابته





- رضى الله عنهم - ولن أتركَ قيـامَ الليلِ بعدَ الآن، فباركَ اللهُ فيكَ علـى حسنِ إيمانكَ وثباتِ عقـيدتكَ. حافظَ الأبُ على القيامِ ليلا للصلاةِ تهجدًا للهِ واتباعًـا لسنةِ رسولِ اللهِ، وذاتَ ليلة استيقظَ أبو اليزيد من نومهِ فرأى أباهُ يصلى، فانتظرَ حتى انتـهى من صلاته، ثمَّ قال له : يا أبتِ. . أرجو أن تعلمنى كيف أتطهـرُ وأتوضأُ حتى أصلى معك. فقالَ الأب : نم يـا بنى فإنك ما زلتُ صغيراً. فـردَّ الابنُ قائلا : يا أبتِ. . سوفَ أقفُ بينَ يدى ربى يومَ القيـامة، يومَ يصـدرُ الناسُ أشتـاتًا ليُروا أعـمالهُم، فـهلْ يرضيكَ أن أقولَ لـربى: إنى طلبتَ من أبى أن يعلمنى الطهارة والوضوء لأصلى مـعه، فرفضَ وقالَ لى : نمْ إنكَ مـا زلتَ صغيراً ؟ !! فقـالَ الأب : والله ما يرضينى ذلكَ يا بنى ولا أحبه، وسوفَ أعلمك الطهارةَ والوضوء، وأجعلكَ تصلى معى.

فكانَ البسطامىُّ يقومُ الليلَ فى عبادةِ اللهِ منذُ كانَ طفلا صغيراً.

الفهرست

رقم الإيداع : ٤٣٥٤ / ٩٥
الرقم الدولى : 9 - 399 - 261 - 977

مِنْ قَصَصِ التُّرَاثِ

سِلْسِلَةٌ مِنَ الْقَصَصِ التُّرَاثِيِّ التَّرْبَوِيِّ الْهَادِفِ، صِيغَتْ بِأُسْلُوبٍ جَذَّابٍ مُمْتِعٍ، وَبِلُغَةٍ بَسِيطَةٍ سَهْلَةٍ؛ لِتُنَاسِبَ كُلَّ الأَعْمَارِ، وَهِيَ تُعَبِّرُ عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ الطَّرِيفَةِ، وَالأَحْدَاثِ الشَّائِقَةِ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى مَعَانٍ إِنْسَانِيَّةٍ سَامِيَةٍ، وَقِيَمٍ أَخْلَاقِيَّةٍ رَفِيعَةٍ، تَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتْعَةِ وَالطَّرَافَةِ، وَالْعِلْمِ وَالتَّسْلِيَةِ، وَذَلِكَ فِي قَالَبٍ أَدَبِيٍّ مُمْتِعٍ، وَصِيَاغَةٍ مُعَاصِرَةٍ جَذَّابَةٍ، وَإِخْرَاجٍ فَنِّيٍّ مُتَمَيِّزٍ، وَرُسُومٍ جَمِيلَةٍ مُعَبِّرَةٍ.

سفير ٥ شارع جزيرة العرب – المهندسين – القاهرة – ص.ب. ٤٢٣ الدقي ت: ٣٣٧٩٧٥٢ – ٣٣٥٣٧١١ – ٣٣٥٣٧١٢ – ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩